- الملحق رقم (١) -

علاقة اوربا الغربية

بالولايات المتحدة الاميركية

تبرز منذ مدة هنا وفي انحاء عديدة من العالم الثالث آراء حول مواقف دول اوربا الغربية من تطلعات دول هذا العالم الى الخلاص مما هي فيه من تخلف والى تحقيق اهدافها ومثلها القومية . وبحسب الآراء المذكورة ان اوربا الرأسمالية والتي لها مصالح تتناقض في كثير من الاحيان مع مصالح اولئك المستعمرين الآخرين الاميركان تختلف عن هؤلاء (الذين لا تنقطع جرائمهم ضد بني الانسان) ويمكن الاعتماد عليها والاستعانة بها في شتى المجالات المفيدة لدول ذلك العالم المقهور . وهنا لا بد لنا من ان نعود بالذاكرة الى بدايات خروج اميركا على العالم لبناء امبرياليتها الحديثة في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، حيث كان قناعها ما يزال يخفي (عن كثير من اصحاب النيات الحسنة والبسطاء) بشاعة وجهها الظاهرة اليوم لكل المقهورين في العالم ، وكانت تلك الامبراطوريات الاستعمارية القديمة ما تزال قائمة . لقد كانت الآراء في تلك الايام ذاتها في تمييز المستعمرين بعضهم من بعض ، ولكن بطريقة معكوسة عما يبرز في هذه الايام ، فالكثيرون من عالم المقهورين كانوا يأملون «الخير» حينذاك من الاميركان وينتظرون «الخلاص» من الاستعمار على ايديهم ! . . (ينتظرون الخلاص من اوربا الغربية على ايديهم ، كما ينتظر بعضهم اليوم الخلاص منهم على ايدى الاوربيين الغربيين) .

ان مما يسهل انتشار مثل هذه الاوهام اغفال بديهة تاريخية هي : ان المجتمعات الانسانية نشأت على كوكب واحد فدفعتها حاجاتها المتقابلة الى الارتباط بعضها ببعض منذ زمن طويل بارتباطات مادية وروحية لا تنفك ابدا عن التطور والارتقاء باشكالها المتنوعة حسب المراحل التاريخية التي تمر بها . وقد وصفنا هذه البديهة في اكثر من مناسبة بعبارة مآلها ان المجتمعات الانسانية تشكل جملة (منظومة) نشأت وارتقت عبر اطوار تاريخية نحن منها اليوم في مرحلة الانتقال من الطور الرأسمالي الى الطور الاعلى الذي هو حسب ما نعتقد الطور الاشتراكي العالمي . وهذا يعني ان هنالك حاليا نظاما رأسماليا احتكاريا عالميا يربط مجتمعات متخلفة صناعيا الى مجتمعات تستغلها . وهذا النظام الاحتكاري اخذ كما نعلم اشكالا تتناسب مع الامكانات المادية للانسان ، وآخر شكل له هو النظام الامبريالي العالمي الذي وحد الامبراطوريات الاستعمارية القديمة (لمواجهة الظروف العالمية لما بعد الحرب العالمية الثانية) تحت زعامة الولايات المتحدة الاميركية ، فهو الولد الاوحد لتلك الامبراطوريات .

ومما لا ريب فيه ان جبلة الامبرياليين وصنائعهم المنتشرين في العالم الرأسمالي (متقدمه ومتخلفه) مبنية على الوحشية الضارية التي تتجاوز كل المقاييس . فليس هنالك من حد او رادع ذاتي يوقفهم عن ارتكاب ابشع الجرائم ضد الانسان لبلوغ مآربهم واهدافهم . ولكنهم لا يشكلون بمجموعهم الا قبضة ضئيلة تجاه الغالبية الساحقة من البشر في الاقطار المتخلفة والمتقدمة من الدنيا . وان قوتهم وانيابهم تستقر في نظامهم العالمي الذي يمسكون بازمته والذي يوفر لهم الاسباب لقهر المستضعفين فيه . فاذا ما سقط هذا النظام تساقطوا معه كاوراق الخريف الميتة التي تدوسها الاقدام . فعدو الشعوب المقهورة اذن هو هذا النظام الشائن الذي تتالى عليه تلك الضواري وتتولاه بمختلف اشكاله التاريخية . فالاميركي المستعمر الذي كان يسيء لنظام هذه الايام كالاميركي الحالي وكشركائه الاحتكاريين الاوروبيين الغربيين لا يمكن الا ان يكون عدوا للمستضعفين بما يتولاه من هذا النظام الوحشي ، ومن الحماقة التوهم بامكان انحياز طرف من هؤلاء الى المستضعفين ضد نظامه الذي هو جوهر كيانه . وان الاستفادة من تناقض المستعمرين فيما بين بعضهم بعضا ومن تضارب مصالحهم قد تساعد المحرومين في هذا النظام من اجل الظفر ببعض حقوقهم او تحقيق بعض التقدم في حالتهم المادية ، الا ان استخلاص حق يمس هذا النظام بسوء ويهدد

كيـانـه لن يلقى الا المقـاومـة من جميع الاطراف الاوربية والاميركية ، وبالتالي لا يتحقق الا بكفـاح صاحب هذا الحق : ان فلسطـين مثـلا لها اهمية حاسمة في كيان النظام الامبر يالي العـالمي ، فان اختلفت وجهـات نظـر المستعمـرين حول مسألتها في نواحيها الفرعية فانها لا تختلف أبدا في اساسها وهو الحفاظ على الكيان الصهيوني (المغتصب لارض الوطن) كقاعدة من اخطر قواعد نظامهم العالمي . ومن الطبيعي ان لا تعتمد الثورة الفلسطينية لتحرير ارض الـوطن الا على سواعـد الفلسطينيين والثوار العرب . فلنلق اذن نظرة سريعة على مقومات هذا النظام وعلى خواصه الاساسية بادئين بعرض سريع للكيفية التي بدأ فيها شكله الاخير (وهو الشكل الذي يقوم فيه الاستعمار الحديث بزعامة اميركا) بالظهور .

١ . التحول الى الامبريالية الحديثة

ميثاق الاطلسي* : في الرابع عشر من آب ١٩٤١ صدر بيان عن الرئيس الاميركي فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرتشل في اثر اجتماع لهما على ظهر سفينة حربية في منطقة واقعة في شمال المحيط الاطلسي . وقد سمي هذا البيان باسم ميثاق الاطلسي ويتضمن ثمانية بنود تنص على الامور التالية :

الاول - اعلان الدولتين عن عزوفهما عن اي توسع (وكأن امبراطورية البريطانيين التي ما كانت الشمس تغيب عنها في تلك الايام بحاجة الى المزيد من التوسع : من عندنا) .

الثاني - حق تقرير المصير لجميع الشعوب .

الثالث - احترام حدود الدول واعادة الحكم الوطني والسيادة على ارض الوطن الى الدول التي حرمت منها بالعنف (ويقصد بهذا الدول الاوربية التي اجتاحت جيوش هتلر اراضيها في تلك الايام ، وكأن المستعمرات لم تستعمر بالعنف وانما برضاء اهلها وترحيبهم بالمستعمرين ! . . : من عندنا) .

الرابع - حرية التجارة والمساواة في الحصول على المواد الاولية .

الخامس - التعاون بين جميع الشعوب في الحقل الاقتصادي .

السادس - استقرار السلام .

السابع - حرية الملاحة في جميع البحار .

الثامن - الامتناع عن استخدام القوة في حل الخلافات بين الدول .

وقد وصفت الموسوعة بريتانيكا هذا الميثاق بالغموض على الرغم من انه اتخذ اساسا

---

* الموسوعة بريتانيكا ط ١٩٦٥ مجلد ٢ ص ٦٩٣

لدستور منظمة الامم المتحدة . ولكن ظروف اعلانه مع الجهتين اللتين اعلنتاه تزيل كل غموض في اهدافه . ففي ذلك التاريخ كانت جيوش هتلر تحتل كل البر في اوربا الغربية وتحاصر بريطانيا بحرا وجوا ، وتقوم بحملة هائلة ضد الاتحاد السوفييتي . وكانت اليابان في هذا الوقت تتحفز للانقضاض على الولايات المتحدة الاميركية في المحيط الهادي بعد تقدمها في عمق الاراضي الصينية : كان الهجوم الياباني على بيرل هاربر وتحطيم الاسطول الاميركي الرابض فيها بعد اربعة اشهر تقريبا من اعلان الميثاق المذكور ، في ٧ كانون الاول ١٩٤١ . وكان العالم باجمعه وخاصة منه اقطاره التي تكتوي بنار الاستعمار ، يموج بالثورات للخلاص من النظام الرأسمالي العالمي . ولم يكن هذا الهيجان العالمي ضد المستعمرين الا استمرارا للثورات المسلحة والانتفاضات الجماهيرية المتلاحقة التي ما هدأت في كل انحاء الدنيا منذ ان خرج المستعمرون الرأسماليون لاقتسام العالم في اواخر القرن الماضي : كانت الثورات تكاد لا تنطفيء في المستعمرات وشبه المستعمرات طلبا للحرية والاستقلال الوطني ، كما كانت حركات جماهير الكادحين في البلاد الاستعمارية لا تهدأ ضد مستغليهم الرأسماليين . وبالاختصار كان النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي عند صدور الميثاق المذكور على كف عفريت . وبالتالي فان مجيء الولايات المتحدة لتتصدر مؤتمرا تضع فيه «نيابة عن العالم» ميثاقا «غامضا» (حسبما تراه بريتانيكا) يكشف بوضوح تام نيات هذه الدولة التي لم يتأخر كثيرا وضعها موضع التنفيذ العملي باقامة نظام عالمي بزعامتها ولمصلحتها بالدرجة الاولى . فالغموض هو دوما الستار الذي يخفي وراءه المستعمرون مخططاتهم للنيل من حقوق الشعوب في شتى الظروف المناسبة لهم (وللنيل من بعضهم بعضا ايضا . من المؤكد مثلا ان روزفلت لم يفصح لذلك الصهيوني تشرتشل عن نية الاحتكارية الاميركية في تصفية الامبراطوريات الرأسمالية القديمة لصالح امبراطورية استعمارية واحدة بقيادتها) . الا ان هذا الميثاق لم يترك أي لبس فيما يخص الاطماع الاميركية في احكام القبضة على كل ما يمكن من مصادر المواد الاولية في العالم ، وخاصة منها الاساسية (كحقول النفط ومناجم النحاس والمواد المشعة وغيره) ، الامر الذي يشكل الاساس الاول لتلك الامبراطورية الاستعمارية العتيدة ، فأتى ذكر هذه المواد صراحة في بند خاص من الميثاق المذكور .

وكانت الولايات المتحدة الاميركية قد قامت بخطوة حاسمة في نفس العام ، فسنت قانون الاعارة والتأجير في ١٩٤١/٣/١١ ، وينص هذا القانون على امداد المحاربين

الانجليز وحلفائهم بجميع متطلبات الحرب من مختلف المعدات والاسلحة والتموين وذلك بطرق البيع او الاعارة او التأجير . الامر الذي جعل اميركا تقود عمليا الحرب ضد النازية من الناحية الاقتصادية : كانت معامل اوربا الرأسمالية عدا بريطانيا قد وقعت آنذاك تحت سيطرة آلة الحرب الالمانية ، كما ان انتاج المعامل البريطانية كان قد انخفض بنسبة كبيرة بسبب الغارات الجوية ، وبسبب شح المواد الاولية الناشيء عن الحصار البحري لبريطانيا وعن الظروف العامة للحرب . ثم ان هذا الوضع على خطورته وتهديده للنظام الرأسمالي العالمي كان ملائما للاحتكارات الاميركية التي فتحت لها خزانة حكومتها على مصراعيها لتمويل المساعدات الحربية الآنفة الذكر . وانطلقت المعامل هناك تعمل باقصى طاقاتها ، وانهالت الطلبات عليها من كل انحاء الدنيا فاغرقتها ، ونشأ عن هذا الوضع نظام «الكوتا» : اي نظام تقنين تلبية الطلبات المختلفة على الصناعة الاميركية والانتاج الاميركي على العموم . وقد استمر هذا النظام ساريا سنوات عديدة بعد الحرب ، على اعتبار ان اميركا كانت البلد الوحيد (المتقدم صناعيا) الذي نجا من ويلات الحرب وخرابها .

مشروع مارشال : بدأت الاحتكارات الاميركية منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى تهتم بتصدير رساميلها على نطاق واسع . ففي عام ١٩٢٩ وصلت الاستثمارات الاميركية الخارجية الى سوية الاستثمارات البريطانية الخارجية ، بينما لم تكن قبل الحرب العالمية الاولى في سوية تستحق الذكر . وعندما نتذكر ان بريطانيا عام ١٩٢٩ هي الدولة الاستعمارية الاولى التي لا تغيب عن مستعمراتها الشمس في تلك الايام نرى بوضوح السرعة التي تطورت بها الامبريالية الاميركية . وفي عام ١٩٣٩ (سنة الحرب العالمية الثانية) بلغ مجموع استثمارات الولايات المتحدة الاميركية (بعملة تلك الايام) مبلغ ١١,٤ مليار دولار .

وقبل ان تنتهي الحرب العالمية الثانية اعلن الاميركان عن مشروع مساعدات اقتصادية للدول «الحليفة المنكوبة بالحرب» . وقد دعي هذا المشروع بعد ذلك بمشروع مارشال* . وبموجب شروط المساعدات المذكورة تشرف الحكومة الاميركية على الكيفية

---

* باسم الجنرال جورج مارشال ، رئيس اركان الجيش الاميركي في الحرب العالمية الثانية ، ثم وزير خارجية اميركا في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، الفترة التي نفذ فيها المشروع على نطاق واسع .

والسبل التي ستصرف فيها الاموال الاميركية . وعلى المستفيد من المساعدات ان يشتري من اميركا كل ما يحتاجه في مشاريعه الصناعية والعمرانية والاجتماعية . ومشروع المساعدة هذا يمكن الحكومة الاميركية من الاتصال مباشرة باصحاب الاعمال الاوربيين ، الذين يمكنهم الاستفادة من اموال المساعدات بشروط تشبه الشروط الموضوعة على الحكومات ، بالاضافة الى شروط اخرى يتقيدون بها : كعدم انتاج انواع معينة مثلا من البضائع التى تزاحم بضائع الاحتكارات الاميركية ، عدم تصدير بعض البضائع الى مناطق معينة من العالم ، السماح لرأس المال الاميركي بالمساهمة بعدد كاف من الاسهم في كل مشروع يستفيد من المساعدة ، مع وضع المشروع برمته تحت المراقبة الاميركية الخ . .

واتى موظفو مشروع مارشال الاميركان الى اوربا الرأسمالية وخصصت لهم مكاتب في كل النقاط الحساسة من دوائر المالية والاقتصاد ومكاتب الاحتكارات الخ . . يشرفون فيها عل ى الكبيرة والصغيرة في سير اقتصاد البلد ، ويصدرون الاوامر فيما يخص المساعدات (وفيما يخص غيرها ايضا بسببها ! . .) .

ان ما يجب ان يسترعي كل الاهتمام في هذا الموضوع الى جانب تغلغل الاحتكارات الاميركية في الاقتصاد الاوربي هو ان الولايات المتحدة الاميركية جعلت من هذه المساعدات سببا لنشر شبكة من موظفيها وعملائها في كل انحاء اوربا الرأسمالية وفي جميع المواقع السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية في كل بلد من بلدانها ، الامر الذي وفر لها القاعدة الضرورية للانطلاق في بناء النظام الاحتكاري العالمي الموحد على انقاض الامبراطوريات الرأسمالية القديمة . وليس من قبيل الصدف ان حلف الاطلسي (الحلف السياسي والعسكري و«مجلس ادارة» النظام العالمي الجديد) قام عام ١٩٤٩ بزعامة الولايات المتحدة الاميركية (التي يشغل جنرالاتها وضباطها المراكز القيادية والحساسة فيه) ، حيث كانت الخرائب وآثار الحرب الاخرى ما تزال قائمة ، وحيث كانت اجهزة «المساعدة الامريكية لاعادة بناء اوربا» مع ملحقاتها من عملاء وجواسيس وغيرهم في ذروة نشاطها هناك في مختلف المجالات القيادية الرسمية والاجتماعية .

الاستعمار الحديث : كانت ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية فرصة نادرة للولايات

المتحدة الاميركية ، الدولة الاستعمارية الوحيدة التي خرجت من الحرب سالمة : بانسانها* ومدنها ومعاملها وكل مرافقها الاخرى الاقتصادية والعلمية والاجتماعية . فاذا اضفنا الى هذا ما اكسبتها الحرب من ازدهار في اقتصادها الذي اتسع بشكل لم يسبق له مثيل طوال سنوات الحرب وطوال سنوات عديدة بعد الحرب بخلو الاسواق العالمية والداخلية امامه من كل منافسة جدية ، والذي «غرق» كما اسلفنا بالطلبات المنهالة عليه ، واضفنا ايضا ضعف كل المستعمرين الآخرين تجاه هذه الدولة (بخراب بلادهم بالحرب وتفكك اوصال امبراطورياتهم بثورات التحرر في المستعمرات) ، نقول اذا اضفنا كل هذه الامور الى انفراد اميركا تقريبا دون غيرها من الرأسماليين بسلامتها من خراب الحرب ادركنا تماما مدى قدرة هذه الدولة في تلك الايام على وضع كل الاسس الملائمة لاحتكارييها في النظام العالمي الجديد .

كانت الولايات المتحدة الاميركية قبل بدئها بالتسلط على اوربا الرأسمالية سياسيا واقتصاديا وعسكريا (بمشروع مارشال وحلف الاطلسي) قد هيأت لاحتكاراتها قدما راسخة في منطقة النفط بالامرين التاليين :

الاول : بالحلول مكان بريطانيا في وقت مبكر يصعد تاريخه الى عام ١٩٤٥ في عملية تسليم فلسطين الى الصهاينة* ليجعلوا منها قاعدة لهم في منطقة النفط (بعد ان اتخذها اولئك المستعمرون الانجليز قاعدة على طريق الهند قرب قناة السويس . وهنا نرى بوضوح ما بعده وضوح في تطور دور الصهاينة من كلاب حراسة على طريق الهند الى كلاب حراسة في حقول النفط انتقال الاستعمار من شكله القديم الذي كانت فيه الهند «درة» التاج البريطاني الى شكله الجديد الذي دمه النفط العربي .

---

* لم تبلغ خسائر اميركا في الارواح مقدار ٣٪ بينما كانت خسائر كل من فرنسا وبريطانيا على التوالي ١,٥٪ و ١٪ . وبلغت خسائر اليابان في الارواح نحو ٣ ٪ بينما خسر كل من الاتحاد السوفياتي والمانيا نحو عشر سكانه .

* تشكلت في هذا العام اللجنة الانجلو - اميركية التي اخذت على عاتقها المسألة الفلسطينية كمقدمة لانفراد اميركا فيما بعد بعملية تسليم فلسطين الى الصهاينة وكان حينذاك يرأس الولايات المتحدة الصهيوني ترومان الذي يعد بحق مؤسس دولة اسرائيل .

الثاني : بتكريس احتكار نفط العربية السعودية بالاتفاق الذي تم في لقاء الاسماعيلية الشهير عام ١٩٤٥ بين الرئيس روزفلت والملك عبد العزيز آل سعود* .

وقد مر معنا اعلاه امرا ثالث وهو ان الولايات المتحدة الاميركية كانت قد اصبحت في مقدمة الدول الامبريالية في تصدير رؤوس الاموال منذ عام ١٩٢٩ ، فكانت ان شكلت هذه الامور الثلاثة الركائز الاولى لنظامها الاحتكاري العالمي الجديد .

ان الصورة التي قام عليها هذا النظام الاستعماري الجديد تكاد لا تختلف بخطوطها وقسماتها عن صورة الاحتكار العادي ، بل انها تنطبق عليها بجوهرها . فمن المعلوم ان الاحتكار العادي هو من حيث النتيجة جهاز يحشد بنظامه قوى اقتصادية عديدة (صغيرة بمعظمها ، ومتوسطة وكبيرة ، تشكل بتراكمها قوة عملاقة) تتمثل بمختلف المساهمين ويتحكم بها نفر من كبار هؤلاء بزعامة واحد منهم يكون المستفيد الاكبر بينهم . وكان ان أقام الاميركان نظامهم الامبريالي العالمي على هذه الشاكلة ، ومن الطبيعي ان يفعلوذلك ما داموا يتصدرون حينذاك كما سبق ورأينا احتكارية عالمية بلغت مرحلة النضج التي لا مكان فيها لحواجز امبراطوريات ذلك الاستعمار العتيق ، والتي هي محتوى نظامهم العتيد . فساعدوا من جهة على تصفية الامبراطوريات القديمة وعلى ازالة انقاضها ليمهدوا الساحة الرأسمالية العالمية من اجل بناء نظامهم الجديد . الا انهم من جهة ثانية وضعوا كل السدود والحواجز والموانع (بالعودة الى التحالف مع المستعمرين القدامى ، والاستعانة بالرجعيات المحلية ، وباوشاب الانتهازيين والجهلة الحمقى والعملاء والجواسيس) لكبح حركات التحرر في كل الدنيا الرأسمالية ومنع هذه الحركات من ان تتجاوز نطاق النظام الرأسمالي العالمي فتنطلق بشعوبها الى القطع نهائيا مع هذا النظام . وبرز العالم الرأسمالي (بشقيه المتقدم والمتخلف) كدول مستقلة تساهم في نظام هذا العالم (كأمم متحدة ، متشاركة في هذا

---

* كان الرئيس روزفلت قد وجه في شباط ١٩٤٣ رسالة الى وزير خارجيته ستيتنوس جاء فيها انه «اكتشف بان الدفاع عن العربية السعودية هو امر حيوي للدفاع عن الولايات المتحدة» . وقد اتى هذا «الاكتشاف» في اثر اكتشاف الاحتياطي النفطي الهائل في السعودية من قبل شركة ارمكو بعد اعمال تنقيب دامت نحو عشر سنوات . انظر تقرير تقدميين اميركيين باشراف جوستورك الصادر باللغة العربية عن دار ابن خلدون ص ٢٦ وقد صدر هذا التقرير اثناء حرب ١٩٧٣ .

النظـام) ، ولكن استقـلالهـا لا يكـون الا على قدر تقـدمها المادي : الاكثر تقدما هو الاكثر استقـلاليـة وافـادة من هذا النظـام العـالمي ، والضعيف المتخلف الخـانـع يهبـط الى سوية المستعمرة القديمة (ولكن بدون جيوش احتلال مباشر ليبقى شكليا مستقلا ، شريكا مساهما بالاسم في اقـامـة النظـام العـالمي ، ويحتـل مثلا كرسيا في الجمعية العامة للامم المتحدة الى جانب امـيركـا) . امـا الولايات المتحدة الاميركية فان حدودها في هذا النظام تمر حيث تقوم مصـالحهـا ، تمر في كل قطـر من اقطـار النظـام . . وقـد اقامت اميركا لهذا النظام عددا من الاحـلاف تستنـد الى جهـاز عالمي للعـدوان ما انفك عن التفاقم من يوم تأسيسه حتى يومنا هذا . ويتكـون هذا الجهـاز المعقـد من تركيب مادي ينتشـر على العـالم الـرأسـمالي باوجهـه السيـاسيـة والاقتصـاديـة والاجتـماعيـة والعسكـريـة : الحكومات الحليفة والعميلة ومختلف المؤسسـات الاقتصـادية من شركات ومصارف ووكلاء وعملاء وغيرهم ، ومختلف الصلات والصداقات بين المندوبين والعملاء والجواسيس وبين الوجوه الاجتماعية في كل بلد من العالم المـرتبـط بشبكـة الامـبـر يـاليـين ، ومختلف اوجـه النشـاط الاجتـماعي تحت مختلف الاسماء والعنـاوين ، والقـواعد العسكرية المتنوعة والمنتشرة في كل انحاء العالم الرأسمالي (لا سيما منه منـاطقـه المتخلفـة الغنيـة بمـواردهـا الطبيعيـة ، كالمنطقـة العربية مثلا) ، والدول القواعد لانطـلاق العـدوان من آن لآخـر كاسـرائيـل وجنوبي افريقيا ، والاساطيل الجوية والبحرية المنتشـرة في القـارات والبحـار ، والجيـوش والمستـودعات المختلفة المنتشرة في كل مكان على سطـح الارض ، وشبكـة الاقـمار الصنـاعيـة لمختلف اغـراض التجسس المدنية والعسكرية الخ . . ثم ان هنالك حلف اساسي بين الاحلاف الآنفة الذكر يشكل الامبرياليون اكثرية المنتسبين اليـه ، وهـو حلف الاطلسي الـذي سميناه اعـلاه : مجلس ادارة النظـام العالمي الامبر يالي ، ويسمية مجلس شيوخ الولايات المتحدة الاميركية بقراره الصادر في ٢٤ ايار من عام ١٩٧٨ بانـه «حجـر الـزاويـة في السيـاسـة الخارجية الاميركية* » ، ويؤكد كارتر نياته باعـلانـه للاوربيـين امـام القمـة الاطلسيـة التي انعقـدت في اوائـل حزيران عام ١٩٧٨ في واشنطن بما يلي : «اننا جزء منكم كما انكم جزء منا ، والمواثيق التي تبادلناها في واشنطن عام ١٩٤٩ (وهي وثائق حلف الاطلسي) ما تزال قائمة بحزم وثقة»* .

---

* من تقرير لمجلة : يو اس نيوز اند وورلد ريبورت عربته جريدة الشعب في عددها ليوم ١٨/ ٦/ ٧٨ .
* السفير ٧/ ٦/ ٧٨

ان التقدم التقني الهائل الذي هو حكر لصناعة الامبرياليين في نظامهم العالمي يتطلب توفير كميات خيالية من المواد الاولية التي تبتلعها معاملهم واجهزتهم العسكرية . وهذه المواد غير موجودة بمعظمها في بلادهم ، وهي ان وجدت هناك فانها لا تكفي في الغالب لتلبية الطلب عليها ، كما ان استخراجها في تلك البلاد لا يلائم الاحتكاريين الرأسماليين (الراكضين دوما وراء الارباح) لارتفاع اسعار اليد العاملة لديهم . ويجب ان لا يغرب عن بالنا أن الامبرياليين يحتكرون ايضا كل ثمين من المواد الاولية في نظامهم العالمي مباشرة او بطريق يوفر لهم الاشراف عليه وعلى توزيعه في العالم (كالبترول مثلا) أكان مصدره الاصلي بلادهم او بلاد المتخلفين . اما العالم الثالث فهو على عكس هذه الصورة ، انه غني بالمواد الاولية** ، واليد العاملة فيه رخيصة ، وصناعته متخلفة . لذلك وجدنا ان الغولين روزفلت وتشرتشل المجتمعين في الاطلسي لصياغة نظام عالمي جديد يوليان اهتماما خاصا بالمواد الاولية وبالسبل الموصلة اليها . الا ان ما تتطلبه الصناعة في هذه الايام لا يقارن ابدا من حيث ضخامته بما كانت تتطلبه الصناعة ايام عقد ميثاق الاطلسي . ويضاف الى هذا الامر التصاعد الهائل في استهلاك الاجهزة العسكرية واستهلاك الافراد في البلاد الرأسمالية المتقدمة لبعض انواع المواد الاولية وخاصة منها النفط . وهنا تتبين لنا العلاقة الاساسية بين المتخلفين والمتقدمين ماديا في النظام الامبريالي الحديث : البلاد الرأسمالية المتقدمة تفرض بوسائلها المتشعبة العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي المحنا الى خطوطها العريضة اعلاه علاقة تتمكن بموجبها من تصدير انتاجها (الذي لا يفيد على العموم في التقدم الصناعي) باسعارها الاحتكارية الى العالم الثالث المتخلف صناعيا مقابل تصدير هذا العالم اليها المواد الاولية المستخرجة او المنتجة باليد العاملة الرخيصة (وذلك بحماية انظمة محلية تؤمن الارتباط بشبكة الاحتكار العالمية في ظروف واوضاع مادية وفكرية يوفرها النظام الاحتكاري العالمي بوسائله المختلفة* التي من اهمها امتداداته في البلد المعني) . والارتباط

** تمتلك البلدان النامية نحو ٩٧٪ من الاحتياطي العالمي للمنغنيز ونحو ٤,٩١٪ من القصدير ، و ٨٩,٥٪ من النفط و ٧٤٪ من الانتموان و ٦٧٪ من النيكل وغيرها من المواد الاولية المعدنية الثمينة .

* يقول جوزيف لانس امين عام حلف شمال الاطلسي في ١٤ ايار عام ٧٩ «ان منظمته مهتمة بامن المواد الاولية والطرق البحرية وهي مصممة على التدخل عسكريا اذا لزم الامر لحماية دم وشرايين الكتلة الرأسمالية . .» عن جريدة الثورة السورية عدد : ٥/ ٦/ ٩٧٩/ .

بالشبكة الاحتكارية العالمية يعني بداهة وجوب بقاء المتخلف في العالم الثالث (وتوسيع هذا العالم ان امكن بانضمام اعضاء جدد اليه بتجميد اقتصادهم ومنعه من اللحاق بركب التقدم التقني) ، واستمرار احتكار التقدم التقني من قبل الفئة القليلة في العالم الرأسمالي ، وذلك بمختلف الطرق الملتوية (او المباشرة اذا لزم الامر . .) . وقد تحرز بلاد العالم الثالث من آن لآخر بعض التقدم في تركيب اقتصادها بنشوء بعض الصناعات الحديثة او قيام بعض انواع النشاط الاقتصادي المتقدم في فروع انتاجها الاخرى ، الا ان هذا التقدم يبقى منعزلا في الاقتصاد المتخلف بالاجمال ما دام هذا الاقتصاد مرتبطا بشبكة الاحتكار العالمية ، وهو بحاجة دائمة الى مصانع وامدادات الاحتكاريين المختلفة (المادية والثقافية) كي يستمر : قيام بعض المعامل مثلا لا بد له لاستمراره من انتاج الاحتكاريين للامداد بقطع الغيار ولتعويض المكنات المتوقفة عن العمل وللتمون بالمواد الاولية . ولا يعني هذا في النتيجة سوى اتساع اسواق الاحتكاريين في العالم الثالث الذي لا يكون فيه التقدم المذكور الا تقدما سطحيا سرعان ما ينهار عندما يقطع عنه الامبر ياليون مقومات ديمومته . وبسبب خنوع الكثيرين من حكام البلاد المنتجة للمواد الاولية وانصياعهم لقوانين ورغبات الاحتكاريين (بالاضافة الى اتساع مجالات توظيف الاموال في البلاد المتقدمة) تعود معظم اثمان تلك المواد الى اسواق المستعمرين لتوظف في مشاريعهم اولتودع في مصارفهم ، بدلا من توظيفها في تقدم بلادهم ، الامر الذي يعني ما يلي :

اولا - جعل النمو الاقتصادي في بلد المواد الاولية محدودا بالمشاريع التي يفرضها المستعمرون بمختلف الطرق الملتوية التي يساعدهم على اتمامها عملاؤ هم في ذلك البلد ، وذلك ليبقى التخلف في المتخلف .

ثانيا - تتضاعف الامكانات المادية للاحتكاريين بتوليهم ادارة نقود المتخلفين في مشاريعهم المختلفة وتتسع الهوة الفاصلة بينهم وبين هؤلاء الذين تزداد بلادهم فقرا على فقرها ، فيتضاءل الامل اكثر فاكثر كي تلحق هذه البلاد بركب التقدم ما لم تقطع نهائيا مع شبكة الاحتكار العالمية .

ومما يزيد في ضيق المستضعفين ايضا تقلص انتاج المواد الغذائية الاساسية في بلادهم ، كالحنطة والارز والالبان والزبدة واللحوم والبيض وغيرها ، وبالتالي قيام حكومات بلادهم باستيراد هذه المواد من عند الاحتكاريين مثل الاميركان . وسبب التخلف في انتاج

المواد الغذائية الضرورية يعود ايضا الى الارتباط باقتصاد المستعمرين ونظامهم العالمي .

– تصاب اليد العاملة في الارياف بالنقص عندما يتدفق سيل الهجرة منها الى المدينة بسبب انعدام التوازن في اقتصاد البلد المتخلف و«مسخ» هذا الاقتصاد ليلبي متطلبات اسواق العالم الاحتكاري الرأسمالي .

– تحول الاراضي الزراعية الى انتاج المواد النباتية للصناعة ، كالقطن والكتان والقنب وغيره .

وقد اصبح بيد الاحتكاريين (لا سيما منهم الاميركان) بهذا السبب سلاحا اضافيا يشهرونه في كل مناسبة في وجه من يقاوم استعمارهم ، فكثيرا ما رأينا الولايات المتحدة تعلن قطع توريداتها بالحنطة الى هذه الدولة او تلك عندما تضع مخططا من مخططاتها العدوانية موضع التنفيذ .

ان السمة الاساسية للنظام الاحتكاري هي التفاقم المستمر للتضخم النقدي الذي يسحق بثقله الرهيب كل المستضعفين المقهورين في العالم . فاسعار النقد اخذت بثبات اتجاه الهبوط منذ قيام النظام الاحتكاري الرأسمالي في اواخر القرن الماضي ، وتفاقم هذا الاتجاه بتفاقم العلاقات الاحتكارية العالمية عندما وحدت اميركا الامبرياليات الرأسمالية المتناحرة بامبريالية واحدة تحت زعامتها . والتضخم النقدي ان كان مرضا مزمنا من امراض الاحتكارية فانه ايضا مضخة لا بد منها لاغتصاب ودفع شتى القيم والثروات من مختلف انحاء الشبكة الرأسمالية العالمية الى دائرة تملك الامبرياليين . يقول الاقتصادي ايفريسكوف في مقال له حول التضخم* : «. . ان ارتفاع الاسعار . . هو اتجاه غير قابل للانقلاب في النظام الرأسمالي الاحتكاري . .» . ونقرأ في جريدة الايكونومست البريطانية** ما يلي : «. . ان الاستاذ سمنر سلايتر من جامعة هارفارد (الاميركية) اصبح الممثل المتحمس لمدرسة تعتبر التضخم الثابت امرا لا مفر منه في الظروف الحالية . انه ثمن مقبول جدا لسلسلة كاملة من الفوائد في البناء الاقتصادي الحالي ويمكن العيش به مدة غير محدودة . . اما الاقتصادي الاميركي برونغينبر نيّر فيقول ان رفع الاسعار الدائم هو صمام

---

* المجلة الشهرية الفرنسية : اقتصاد وسياسة ، عدد ايلول ١٩٥٩ .

** عدد الاول من حزيران ١٩٥٧ .

الامـان الـذي يخفف ضغـط الطبقـة العـاملة ويـدفع خطرها عن المشاريع الحرة . . ويقول الاقتصـادي الامـيركي باخ ان سياسة رفع الاسعار تشكل الضابط والمهدىء للعمال . . » . فنـرى اذن ان اسبـاب هبـوط العملة وفـوضى اقتصاد المستعمرين تكمن في علاقات النظام ذاتها التي اقامها هؤلاء المستعمرون بقصد نهب الثروات والقيم ، اما اصحاب المواد الاولية من البـلاد المقهـورة (وخـاصة منهم اصحاب النفط) فانهم لا يستطيعون «تعكير» صفو هذا النظـام كما يتهمهم حاليـا الامبرياليون عندما يحاولون الحصول على بعض حقوقهم منهم . فالتضخم لا بد منـه في مثـل هذا النظـام الفاسد حتى ولو قدم اصحاب المواد الاولية ثروات وطنهم بالمجان الى هذه الضواري .

٢ - ميزان القوى الداخلي

للنظام الامبريالي العالمي

رأينا في القسم الاول من بحثنا ان الرأسماليين الاحتكاريين اليوم ينتمون الى نظام امبريالي موحد تحت زعامة الولايات المتحدة الاميركية (بعد ان كان هذا النظام منقسما الى عدد من الامبراطوريات المتناحرة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية) . وفي الوضع العالمي الحالي ليس بالامكان تصور دولة احتكارية رأسمالية تخرج على نظامها هذا وتقوم بمحاربة دولة او مجموعة من الدول الاحتكارية الاخرى ، وان قام التنافس والتناقض وقامت الخلافات الحادة بين الامبرياليين حول اقتسام ما يتحقق من فضول القيم في نظامهم العالمي : ان وحدة هذا النظام ، ووقوفه في مواجهة عالم مقهور ثائر من جهة ، وفي جوار نظام آخر قوي هو النظام الاشتراكي الذي يعارضه معارضة شديدة من جهة ثانية ، هذه الظروف تمنع قيام الحروب بين المستعمرين ، والحرب بين دولة احتكارية وبين الاتحاد السوفييتي محتملة وان كان احتمالها ضئيلا جدا في هذا العصر لحتمية انقلابها الى حرب عالمية تأتي على كل المتحاربين (وعلى من حولهم) بما يستعمل فيها من اسلحة صاروخية - نووية . اما الحرب التي يشنها المستعمرون ضد عالم المقهورين المنهوبين بشكل مباشر او باشكال اخرى يتفنن الامبرياليون باخراجها فانها تكاد لا تهدأ منذ ان قام هذا النظام العدواني الظالم حتى يومنا هذا . ولا غرابة في هذا الامر ، فعالم المقهورين هو عالم الثورات بطبيعته ، وهو في هذا النظام الذي يوحده مع الامبرياليين العادين عليه يحتل موقع الضد المعارض لهؤلاء المعتدين ويقع عليه عبء النضال للخلاص منهم بعمله على انهاء طورهم* . ونرى نتيجة لهذه

---

* حسب قانون وحدة ونضال المتضادات .

الامور اننا عندما نستعرض قوى الامبر ياليين المادية ونقارن فيما بينها فاننا نفعل هذا ليس في هدف البحث عن الجهة التي سيكون احتمال النصر الى جانبها اكبر فيما لو اصطدمت هذه القوى بعضها ببعض واقتتلت (الامر الذي قلنا انه غير وارد في هذه المرحلة التاريخية) ، وانما في هدف معرفة نسب «مساهمة» مختلف الاحتكاريين لتكوين قوة نظامهم المشترك ، وبالتالي لمعرفة من منهم الذي يستفيد من هذه القوة اكثر من غيره ويستخدم نظامها لصالحه ، تماما كما يفعل الاحتكاري العادي القوى في كل احتكار رأسمالي . فميزان القوى الداخلي للنظام الامبر يالي العالمي هو اذن ميزان مساهمة الامبر ياليين في تكوين قوى العدوان والقهر لنظامهم الذي له ذات تركيب الاحتكار العادي ، كما سبق وقلنا في القسم الاول من بحثنا .

القوى الصناعية الاحتكارية : ان الدمار الشامل الذي اصاب اوربا بنتيجة الحرب العالمية الثانية كان من وجه آخر مفيدا للإحتكاريين الاوربيين الذين وجدوها مناسبة لتجديد وسائلهم واساليبهم في الانتاج بعد ان «خلصهم» الدمار المذكور من معداتهم واماكن عملهم القديمة . وقد عوض هؤلاء الاحتكاريون خسائرهم بالقائها على عاتق الكادحين في بلادهم وبلاد العالم الثالث بشتى الاساليب . وقد رأينا كيف ان اميركا اتت الى مساعدتهم في هذا الامر بمشروع مارشال . وكانت كل من المانيا واليابان قد اصيبتا اكثر من غيرهما فتناول دمار الحرب كل مرافق الانتاج فيهما تقريبا . ولهذا السبب رأينا التجديد في صناعة هذين البلدين قد سبق البلاد الرأسمالية الاوربية الاخرى . ولكن هذا السبق وان اعطى بعض الميزات لصاحبه فانه يبقى مؤقتا في عالم الرأسماليين الراكضين ابدا وراء الربح ، اذ لا بد لصاحب الوسائل القديمة في هذا العالم من ان يجاري منافسيه في التجديد ليتمكن من البقاء في ساحة الانتاج : ان تكاليف الانتاج بالوسائل القديمة اكبر دوما من تكاليفها بوسائل متقدمة ، ولهذا السبب لا يتمكن المنتج بتلك الوسائل من مجاراة منافسه صاحب الوسائل الجديدة .

ان الولايات المتحدة الاميركية بوضعها الاقتصادي المتميز الذي اشرنا اليه في القسم الاول من هذا البحث ، والذي اكتسبته بظروف الحرب وما بعد الحرب ، عندما خرجت سليمة من دمار ذلك الصراع الهائل دون سواها من الدول الرأسمالية ، فاصبحت عمليا الوحيدة في الاسواق العالمية الرأسمالية فترة طويلة من الزمن ، نقول ان هذه الدولة بهذا الوضع المتميز اصبحت المستودع العالمي لتراكم الثروات والقيم التي انصبت عليها من

مختلف انحاء الارض (والتي استقرت بطبيعة الحال في خزائن احتكارييها) . ولم يكن هذا الوضع بدون اساس مادي كان قد سبق قيامه . فالولايات المتحدة الاميركية تصدرت عالم الاحتكار منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية : قلنا انها في عام ١٩٢٩ اصبحت تعادل انجلترا اكبر دولة حينذاك في تصدير رؤوس الاموال . وما عتمت ان تجاوزت جميع الامبرياليين بمراحل عديدة في نشر مصالحها الاستعمارية في العالم . ففي عام ١٩٥٣ مثلا اصبحت استثماراتها الخارجية تزيد على اربعة اضعاف الاستثمارات البريطانية الخارجية : بلغت استثماراتها ٣٩,٥ مليار دولار مقابل ٣٥٠٠ مليون جنيه استرليني لبريطانيا* .

وقد كان من البديهي ان لا يقف عالم الصناعة الاميركي موقف المتفرج من تجديد ونمو وسائل انتاج منافسيه في اوربا واليابان (وهو أشرف بذاته على هذه العملية الهائلة وساهم فيها وأمدها «بمعوناته» المختلفة التي المحنا الى بعضها في القسم الاول من هذا البحث) ؛ بل انه كان قد سبقهم بزيادة التجدد والتوسع في كل الفروع الحاسمة للانتاج ، وليس هذا وحده فحسب ، وانما تقدم ايضا في تأسيس وتطوير فروع انتاجية جديدة تشكل الثورة الصناعية التي رافقت انتقال الاحتكارية من مرحلة الامبرياليات المتعددة المتناحرة الى مرحلة الامبريالية الموحدة .

ان الرأسماليين المتنافسين ابدا في الارباح والمغانم في كل الاشكال والمراحل التي يمر بها نظامهم ، لا سيما منها الشكل الذي كان سائدا قبل الحرب العالمية الثانية ، يصعب عليهم تنسيق جهودهم لتحقيق وتائر اسرع في تقدم اقتصادهم ، بل ان تطور هذا الاقتصاد لا يحدث الا في ميادين التسابق للحصول على الارباح ، وعبر سلاسل لا تنتهي من الازمات المتنوعة في شتى مجالات الحياة في مجتمعاتهم . لذلك نجد التطور المذكور يتبع الظروف والصدف فيسرع تارة ثم يبطيء ويتوقف ويتأخر الخ . . وهم لا يترددون في مقاومة التقدم بالقوة والتخريب عندما لا يكون هذا التقدم في مصلحتهم* . ويخفي الرأسماليون

---

* منجد الاقتصاد السياسي لأكاديمية العلوم السوفياتية . الطبعة الثانية ص ٢٥٩ ف .

* ان هذا الامر شائع ومعروف . فالاحتكار النفطي مثلا يقاوم البحوث الجارية في اميركا للحصول على مصادر بديلة للطاقة النفطية ، وهذا باعتراف الرئيس كارتر الذي قال ان هذا الاحتكار يقف حجر عثرة في طريق البحوث المذكورة . انظر تقرير الدراسات لمنظمة فتح رق ٣ - ايلول ١٩٨٠ .

ايضا اسرار صناعاتهم فلا يغشونها بين بعضهم البعض (تماما كقدماء الحرفيين) ، الامر الذي يضيع على الدوام فرص التقدم الصناعي بوتائر اسرع تتناسب مع الامكانات والوسائل المتوفرة لدى مختلف فئاتهم . وقد كانت ظروف ازمة ١٩٢٩ التي اجتاحت العالم الرأسمالي ودامت تقريبا طوال العقد الرابع من هذا القرن ، مع ما رافقها من اضطرابات اجتماعية حادة اجتاحت المجتمعات الاوربية ، ثم مجيء ظروف الحرب العالمية الثانية ، كل هذا دفع بسيل من العلماء والفنيين من جميع انحاء البلاد الرأسمالية المتقدمة نحو اميركا ، البلد الاكثر اتساعا واستقرارا بالنسبة الى بقية ذلك العالم الرأسمالي . حتى انجلترا التي لم يصل اليها الاحتلال النازي اضطرت في ظروف الحرب (تحت وطأة الغارات الجوية الشديدة على مدنها) ان تنقل اهم مؤسسات بحوثها ومخابرها الى الولايات المتحدة الاميركية . ثم اتت بعد كل هذا ظروف الخراب الذي عم بلاد الرأسمالية الاحتكارية بعد الحرب ، مع مجيء اميركا تحت ستار المعونة لاعادة بناء العالم الرأسمالي ، فوقع بهذا احتكاريوها على كنوز لا تقدر بثمن من الاسرار الصناعية والعلمية تحت الانقاض الاوربية واليابانية . كل هذه الظروف المتسلسلة بتسارع كبير خلال فترة قصيرة من الزمن (من مطلع الثلاثينات حتى اواسط الخمسينات) اتاحت لهؤلاء الاحتكاريين الاميركيين «فرصة الدهر» لتحقيق حشد هائل من الامكانات العالمية المادية والعلمية في بلدهم انجز به تقدم كبير في شتى مجالات البحوث النظرية والتطبيقية ، نذكر منها المجالات الحاسمة التالية :

- مجال الرياضيات التطبيقية وجدولة التوابع والقوانين الرياضية والفيزيائية* بتقريب مناسب . وقد فتح هذا العمل الباب واسعا لولوج ميدان الحاسبات الاليكترونية التي تشكل العمود الفقري للاقتصاد المعاصر : كان لا بد من توفر قيم الجداول المذكورة لشحن ذاكرة الآلة الحاسبة الاليكترونية بها ، وبالتالي لاعطاء هذه الذاكرة التي تشكل القسم الاساسي في الآلة الحاسبة ميزتها الاساسية . وكانت الولايات المتحدة لفترة طويلة المحتكر الوحيد

---

* في ازمة ١٩٢٩ الكبرى جند النظام الاحتكاري الاميركي المهندسين والعلماء العاطلين عن العمل «بلقمة الخبز» ليقوموا بالعمل المضني وهو جدولة اهم التوابع والقوانين الرياضية والفيزيائية بطرق الحسابات المباشرة (لعدم توفر الآلات الحاسبة الملائمة حينذاك) بتقريب كبير الى ١٢ و١٨ وحتى ٢٤ رقما عشريا (رقما بعد الفاصلة) .

لانتاج هذا النوع من الآلات التي تختصر الوقت فتنجز بساعة حسابات كانت من قبل تتطلب اشهرا من العمل المضني عندما لم يكن بحوزة الحاسبين الا قلم وورقة وآلة حاسبة ميكانيكية . ويضاف الى ميزة السرعة هذه الدقة والتقريب الكبيرين في النتائج . ثم ان هذه الصناعة تشعبت الى فروع عديدة في شتى مجالات الاستخدام ، فغدونا نرى الذاكرة الاليكترونية تعمل في كل آلة تدور حسب برنامج معد (بسيط اومعقد) . اما المجال الحاسم في استخدام هذه التقنية فهو مجال السبرنتيك* والاتمتة** . وهذا اسلوب يتسع انتشاره في الصناعة الحديثة ، وهو الشكل الذي سيقوم عليه انتاج الطور المقبل لجملة المجتمعات الانسانية .

- مجال الطاقة النووية حيث تحتل اميركا عمليا حتى الآن مركز المحتكر الاوحد في العالم الرأسمالي لصناعة الوقود الذري ، بعد ان كانت الدولة الاولى التي اطلقت الطاقة الذرية .

- مجال الطاقة النفاثة ، وترجع اصولها العريقة الى الصينيين القدماء . وقد تمكن الالمان من تطوير هذه الطاقة في الحرب العالمية الثانية ، فانتجوا صواريخهم الشهيرة (٧) التي قصفوا بها بريطانيا . ثم ان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية ، كل من جهته ، احرزا تقدما واسعا في هذه الصناعة في اعقاب الحرب المذكورة . وعلى هذه التقنية ، مع تقنية السبرنيك والاتمتة وعدد كبير من التقنيات الاخرى قامت الرحلات الفضائية المشهورة ، في الاتحاد السوفياتي واميركا . ومن نافل القول ان نذكر ان النقل الجوي في العالم يقوم حاليا على هذه التقنية .

- مجال البحوث النظرية في شتى فروع العلوم ، حيث تقيم الولايات المتحدة الاميركية على ارضها شبكة من المؤسسات والمخابر العلمية لا تضاهيها في ضخامتها وسعة امكاناتها في العالم الا شبكة المؤسات والمخابر في الاتحاد السوفياتي . وتبذل الولايات المتحدة دوما شتى الاغراءات لاستجلاب الكفاءات العلمية من كل اقطار العالم لتغذية جهازها العلمي والتقني الواسع .

---

* الاتصال والتحكم عن بعد .

** ادارة وتشغيل عدد من المكنات من مركز التحكم الواحد عبر لوحة قيادة بوسائل اليكترونية .

ان افضل مقياس للقوة الصناعية لبلد هو مقدار استهلاكه للطاقات المحركة في صناعته . والولايات المتحدة الاميركية تستهلك من الطاقة ما يعادل ما تستهلكه كل الدول الاخرى في العالم الرأسمالي* وصحيح ان الاستهلاك الفردي مع استهلاك جيوش واساطيل وطيران هذه الدولة يشكل نسبة هامة من مجمل استهلاكها للطاقة ، الا ان ضخامة هذا الاستهلاك بالذات لا تدل الا على الاتساع الكبير للصناعة الاميركية التي تنتج معظم ما «يبتلع» هذه النسبة من الطاقة من مكنات وادوات مع قطع غيارها . يضاف الى هذا ان الاستهلاك المدني الفردي والعسكري لبقية العالم الرأسمالي المتقدم من الطاقة كبير ايضا وان كانت نسبته الى مثيله الاميركي ضئيلة . وفي الواقع نجد ان نصيب الولايات المتحدة الاميركية من الانتاج الرأسمالي في عام ١٩٧٤ هو ٤٧٪** . ثم ان بالامكان تصنيف الدول الرأسمالية الصناعية بالشكل التالي الذي لا ندخل فيه اميركا :

اولا - ثلاث دول متكافئة على العموم صناعيا ، وهي : اليابان والمانيا الغربية وانجلترا ، عدد سكانها على التوالي ٩٠ و ٥٥ و ٥٢ مليون نسمة .

ثانيا - فرنسا ، ٤٥ مليون نسمة .

ثالثا - ايطاليا ، ٥٠ مليون نسمة .

رابعا - الدول الاسكندنافية مع بلجيكا وهولندا وسويسرة نحو ٤١ مليون نسمة .

ونجد في النتيجة ان اقوى هذه الدول صناعيا لا تبلغ بمفردها في انتاجها ربع انتاج الولايات المتحدة الاميركية . وعندما نخرج اليابان من المجموعة السابقة (وهي من اقواها صناعيا ، ان لم نقل اقواها على الاطلاق) نجد ان الباقي ، وهو مجموعة الدول الاوربية الرأسمالية ، يكاد لا يصل بقوته الصناعية الى ثلاثة ارباع القوة الصناعية الاميركية ، وان كافأ الاتحاد السوفياتي من حيث تعداد سكانه : ٢٤٠ مليون نسمة ، بينما تعداد الولايات المتحدة ١٨٠ مليون نسمة . ونجد اذن في النتيجة ان الولايات المتحدة الاميركية هي اكبر «مساهم» في الانتاج الصناعي للنظام الرأسمالي العالمي ، فتكون بحسب تركيب هذا النظام بالاسلوب الاحتكاري الرأسمالي اكبر مستفيدة منه باستخدام امكاناته لتحقيق مطامعها

---

* انظر تقرير دراسات فتح رقم ٧٣ ص ٣ ايلول ١٩٨٠ بقلم يوري ريفين .

** تقرير دراسات فتح رقم ٤٨ حول أزمة الطاقة بقلم الدكتور دويدار ٢٥/ ٦/ ١٩٨٠ .

الاستعمارية ، لا بنسبة مساهمتها فقط ، وانما ايضا باغتصابها من «حصص شركائها في المغانم الامبريالية الحاصلة بنتيجة العدوان على الشعوب المستضعفة ونهبها ، تماما كما يحصل في الاحتكار العادي عندما تستغل الزمرة الاقوى بين الاحتكاريين الشركاء فيه وتسخر قوة الاحتكار (المتشكلة بمعظمها بمساهمة عدد كبير من صغار «الشركاء») لتحقيق اغراضها في الكسب ومضاربة الخصوم في الاحتكارات الاخرى . وتقوم بداهة الاعتراضات من قبل الشركاء الامبرياليين الاصغر (من قبل الاوربيين مثلا) ضد التصرفات والتجاوزات الاميركية ، وتقوم التناقضات بين الاوربيين ، ولكن كل هذا يحدث في حدود النظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي . فنجد اعضاء هذا النظام لا ينفكون عن تأكيد انتمائهم الى كتلة واحدة وعن وجوب تضامنهم فيما بينهم للحفاظ على مصالحهم المشتركة : ذكرنا مثلا في القسم الاول من هذا البحث اعلان كارتر للاوربيين وتأكيده لهم في القمة الاطلسية عام ١٩٧٨ بان اميركا واوربا الرأسمالية جزءان يتمم احدهما الآخر . فالنظام الاحتكاري العالمي الذي كان منقسما الى عدد من الامبرياليات ثم توحد بامبريالية واحدة ، لا يمكن ان يعود الى الانقسام الا عند نهايته وزواله نهائيا من الوجود ، بنتيجة ثورات المستضعفين وخلاصهم منه . ومن السذاجة الاعتقاد ان امبرياليا او مجموعة أمبرياليين قد ينساقون بنتيجة تصرفات اميركا «الحمقاء» الى العمل على اطلاق من يستغلونه من المستضعفين بفصل علاقات نظامهم من هذا النظام ، وحرمان انفسهم بالتالي من ثمرات ذلك الاستغلال . وهذا لا يعني بالطبع نفي امكان الاستفادة من خلافات الامبرياليين لكسب بعض مواقع التقدم .

ان الديغولية تعطي افضل الامثلة على معارضة الشركاء الصغار للأقوياء في النظام الامبريالي العالمي . وهي بكل تأكيد تقوم ايضا على المعارضة الوطنية الفرنسية الشديدة للتسلط الاميركي الذي يبلغ حدا يأخذ معه شكل نفوذ استعماري حتى في بلد متقدم ماديا مثل فرنسا* . وقد اعلنت هذه الدولة عن ارادتها في اتباع سياسة مستقلة عن اميركا ،

---

* في عام ١٩٥١ مثلا كنت في عداد طلبة المعهد الجغرافي الفرنسي ، وكنا نقوم بتمرينات تحت اشراف الاستاذ المختص في منطقة تقع في جنوب فرنسا . وقد احتجنا مرة الى اجراء بعض القياسات من نقطة جيوديزية صدف ان كانت على ارض قاعدة اميركية هناك ، فمنعنا من قبل قيادة القاعدة ←

وسعت كثيرا لتوحيد اوربا الرأسمالية لتحدي الزعامة الاميركية وتحدي تجاوزاتها . وخرجت من حلف الاطلسي واغلقت القواعد الاميركية على ارضها . الا ان كل تلك المساعي لم تؤد الى اخراج فرنسا من النظام العالمي الاحتكاري لكونها هي بذاتها دولة احتكارية ، فهي اذن ضعيفة تجاه اميركا بهذه الصفة (لا بالصفة الوطنية وبالدفاع عن الحقوق المشروعة) . فكانت ان ابقت اتصالاتها بالحلف المذكور بواسطة لجان مراقبة ، كما انها بقيت بطبيعة الحال في السوق الاوربية المشتركة التي هي من اسواق النظام الاحتكاري العالمي الذي تتزعمه اميركا . ثم ان المعارضة الديغولية الحادة لاميركا انهارت بذهاب ديغول وان بقيت بعض آثارها التي لا يمكن ان تتعدى حدود النظام العالمي الرأسمالي .

القوى العسكرية الاحتكارية : يضم حلف الاطلسي الدول الرأسمالية الاحتكارية الرئيسية عدا فرنسا واليابان . وهو الحلف الاول بين كل الاحلاف السياسية - العسكرية الاخرى في النظام الاحتكاري العالمي (وقد اطلقنا عليه في القسم الاول من هذا البحث اسم مجلس ادارة هذا النظام) . والمنطقة الاوربية التي نشأ فيها وترعرع وان بدت كميدان عمله الرئيسي (وهي كذلك على العموم) الا انها تبقى في الجوهر ، لا سيما بعد نضجه واكتماله في ايامنا هذه ، قاعدته التي تنطلق منها فعالياته الى كل انحاء العالم . ففي القمة الاطلسية التي انعقدت في واشنطن عام ١٩٧٨ حث كارتر شركاءه الاوربيين في هذا الحلف ان يتخطوا اهتماماتهم الاوربية وان يصبح العالم باجمعه ميدان اهتمامهم* . وفي الواقع كان العالم على الدوام ، كما قلنا قبل هنيهة ، «ميدان اهتمامهم» ، وقد قصد كارتر بذلك الطلب ان يزيد هؤلاء الشركاء من مساهمتهم في عمليات العدوان والقمع بصفتهم الاطلسية وليس بصفتهم الاوربية ، ليتعزز اكثر فاكثر دور اميركا كزعيمة لهم تستفيد من قوتهم المجتمعة

من الوصول اليها ، مما اثار الغضب المشروع لفرنسي المعهد . وقد كان الاميركان يتصرفون في ذلك الوقت في هذا البلد (وفي اوربا الغربية كلها) تصرف جيوش الاحتلال وليس تصرف الحلفاء الضيوف . وسمعت حكايات كثيرة عن التصرفات الشاذة للجنود الاميركيين عند نزولهم على الارض الفرنسية في الحرب العالمية الماضية . فكانوا مثلا يقومون بالقاء بعض السجائر على الارض ليضحكوا من مشهد بعض الفرنسيين الذين اضنتهم الحرب وحرمتهم من كثير من الحاجات يتزاحمون لالتقاطها .

* السفير عدد ٧/ ٦/ ١٩٧٨ ، تشرين ٣/ ٧/ ١٩٧٨

(غير المتفرقة المتناقضة) في القيام بدور الشرطي العالمي .

ان القـوى العسكـريـة للدول الاحتكـاريـة تشكل في الواقع اسهما في قوة قمع عالمية تحمي النظام الرأسمالي العالمي ، ويشكل حلف الاطلسي الطليعة الموجهة لهذه القوة . وقد تبدو جيوش المستعمرين مستقلة بعضها عن بعض ، فيتمتع كل جيش منها على ارض وطنه بكـل مؤسسـاته المختلفة المعروفة ، وله اسلحته المصنوعة بمعظمها في معامل بلده ، ولكن مختلف مظاهر الاستقلال هذه ما هي في النتيجة الا تعبير عن شكل من الاستقلال الذاتي او الـداخـلي الضـروري في الظـروف الحالية . ولا يقف الامر عند هذا الحد ، فجيوش الدول الـرأسـماليـة الاخـرى غير الاعضـاء في حلف الاطلسي (مثـل فرنسـا واليـابـان واسـتراليا ونيـوزيلنـدا وجنـوب افريقيا واسرائيل وغيرها) ما هي الا قوى احتياطية لهذا الحلف . ذلك لأن جميـع هذه الـدول تعـود الى نظام امبريالي واحد ، ولها قاسم مشترك واحد هو الولايات المتحـدة الامـيركيـة التي ترتبط بكل واحدة منها بعلاقات مناسبة وتقيم على ارضها قواعدها العسـكـريـة (عـدا فرنسـا ، الا ان هذه الـدولة كما اشرنا اليه قبلا تبقى في الحلف عندما تنفذ عمليا كل اغراضه الاساسية في العالم ، ومثال ذلك ان كبار مسؤولي الحلف المذكور اجتمعوا في باريز عام ١٩٧٨ لبحث وتنسيق وبلورة التدخل الاطلسي في افريقيا*) . ثم ان الاساس الـذي تقـوم عليـه عقـائـد جميع جيوش الدول الرأسمالية الاحتكارية هو ضرورة دوام النظام العالمي لهذه الدول ، وتوسيعه ان امكن ليشمل المزيد من المقهورين .

انّ المستفيـد الاكـبر من القـوة العسكـريـة الشـاملة للدول الاحتكارية الرأسمالية هو المساهم الاول في هذه القوة : الولايات المتحدة الاميركية التي تتضاعف قوتها بقوى شركائها في نظامها العالمي ، بينما لا يستفيد كل من الآخرين بمفرده الا بشطر ضئيل بالنسبة اليها ، لعدم امساكه مثلها بمواقع القوة في النظام العسكري الشامل المذكور . بل ان الاحتكاريين الاقـويـاء يشعـرون في احيـان كثـيرة انهم ليسوا اكثر من ادوات بيد الامبريالية الاميركية ، فتقـول مثـلا المجلة الالمـانية الغربية ديرشبيغل : «ان كارتر يهبط بالاوربيين ، وخاصة منهم الالمـان الغـربـيـين الى مستـوى منفـذي الاوامـر ، مبررا ذلـك بدوره كقـائـد للدولـة

---

* المرجع السابق

العظمى* » . ولنحاول فيما يلي اعطاء الخطوط الرئيسية لتركيب القوة العسكرية الشاملة للنظام الامبريالي العالم ، ولن نحصل على كل حال الا على صورة مبتسرة لاتساع الموضوع وتشعبه . وعلينا ان لا ننسى عند النظر الى الارقام الضخمة التي سنعطيها ان الامبرياليين لا يهدرون من«حلال» اموالهم كل تلك الثروات الهائلة لبناء جهازهم العدواني ، فهم لا يملكون في الحقيقة الا ما ينهبونه من المستضعفين في الارض ، لا سيما منهم كادحي العالم الثالث . فضخامة تلك الاقام ان دلت على شيء فهي لا تدل الا على ضخامة القهر والبؤس النازل بمئات الملايين من بني البشر لتوفير كل ذلك الغنى المادي المفتعل للامبرياليين .

ان مجموع ما انفقته دول حلف الناتو(بما فيهم فرنسا) على التسلح في عام ١٩٧٨ هو بالدولارات* : ١٨٨,٤ مليارا ، وكان نصيب اميركا ١١٣ مليارا . اي ما يعادل ٦٠٪ من جملة الانفاق المذكور . ولو أخذنا اكبر دول الحلف بعد الولايات المتحدة الاميركية وهي انجلترا وفرنسا والمانيا الغربية لوجدنا ان مساهمتها هي على التوالي : ٧٪ ، ٩٪ ، ١١٪ . اما انفاق الدول الآنفة الذكر بالنسبة للفرد الواحد فهي بالدولارات : ٥١٧ لاميركا ، ٣٣٧ لالمانيا الغربية ، ٣٢٥ لفرنسا ، ٢٣٩ لبريطانيا .

وعندما نأخذ بالاعتبار جميع الدول الاحتكارية في العالم نجد ان مستوى مجموع الانفاق هو بالدولارات** : ٢٠٢,٣ مليارا . فتكون نسب ما تساهم به كل من اميركا والمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا واليابان على التوالي كما يلي : ٥٦٪ ، ١١٪ ، ٩٪ ، ٧٪ ، ٤٪ .

ان تعداد القوات المسلحة لحلف الناتو هو بآلاف الجنود** : ٤٨٢٧ . وحصة اميركا من هذا العدد ٢٠٦٩ ، اي ما نسبته من التعداد الكلي الآنف الذكر ٤٣٪ . وتساهم كل من انجلترا والمانيا الغربية وفرنسا على التوالي بالنسب التالية : ٦٪ ، ١٠٪ ، ١٠٪ . اما تعداد القوات المسلحة لمجمل الدول الاحتكارية (بما فيها قوات اسرائيل وجنوب افريقيا

---

* تشرين ١١/٨/١٩٧٨

*الميزان العسكري لعام ١٩٧٨ - ١٩٧٩ ، السفير ٥/٩/١٩٧٨ .

** المرجع اسابق .

وتايوان) فهو بآلاف الجنود* : ٥٨٤٠ ، ولا يدخل في هذا الرقم تعداد جنود الدول الحيادية كسويسرة والسويد والنمسا : فتكون نسبة ما تساهم به اميركا في هذا التعداد : ٣٥٪ ، بينما تساهم كل من فرنسا والمانيا الغربية وانجلترا واليابان على التوالي : ٩٪ ، ٨٪ ، ٥٪ ، ٤٪ .

وعندما ننظر الى توزيع هذه القوات على الاسلحة البرية والبحرية والجوية** نجد ان الولايات المتحدة الاميركية لديها من القوات البرية اكثر من ضعفي كل من فرنسا والمانيا الغربية اقوى دولتين رأسماليتين في اوربا . اما تعداد قواتها البحرية فيزيد على عشرة اضعاف تعداد القوات البحرية البريطانية او الفرنسية . ويزيد تعدادا قواتها الجوية على خمسة مثيلاته في المانيا الغربية او فرنسا او انجلترا .

وتفوق الولايات المتحدة الساحق على حليفاتها في النظام الاحتكاري العالمي ليس فقط في ميادين القوى الكلاسيكية (بتعداد الجنود وبحجم ونوعية التسلح) ، فلدى هذه الدولة نظام عسكري عالمي لا يمكن مقارنته من حيث اتساعه وتشعب امكاناته بأية قوة عسكرية اخرى في العالم (عدا الاتحاد السوفياتي) :

اولا : القواعد العسكرية الاميركية* - ان استراتيجية القواعد التي نادى بها البروفسور كيفير والتي يتبناها البنتاغون ويعمل على وضعها موضع التنفيذ منذ زمن طويل ويطورها حاليا بانشاء المزيد من القواعد في البلاد الاجنبية ولا سيما في منطقة المحيط الهندي وحول خليج النفط العربي ، هذه الستراتيجية تهدف الى ضمان وحفظ «مصالح» الولايات المتحدة في اية «بقعة ملتهبة» من العالم ، حسب تعبير كيفير الآنف الذكر . ولذلك تنشر هذه الدولة شبكة من القواعد تغطي كل العالم الرأسمالي : من اميركا الشمالية والجنوبية الى اوربا الغربية ، فالبحر الابيض المتوسط والمنطقة العربية وافريقيا ، فالمحيط الهندي والمحيط الهادي والقطبين المتجمد الشمالي والجنوبي . وفي هذه الشبكة نحو الفي منشأة عسكرية منها

---

* المرجع السابق

**المرجع السابق

* يو اس وورلد ريبورت ٢٩ كانون اول ١٩٧٥ بيلاشينكو في قواعد الامبريالية اداة العدوان ص ١٨ ، ١٩

٣٤٠ قاعدة اساسية ضخمة .

ثانيا : البحرية** - تنتشر الاساطيل البحرية الاميركية في جميع بحار العالم ، كالاسطول السادس مثلا في البحر الابيض المتوسط ، والاسطول السابع في المحيط الهادي ، والاسطول الرابع في المياه الاميركية ، والاسطول الثالث في منطقة شمالي الاطلسي . وتقوم اميركا بتشكيل اسطول خاص في المحيط الهندي وبحر العرب . وهنالك ما يزيد عن ٢٥٠ سفينة قتال ومساندة تتبع القوى البحرية الاميركية التي تتضمن ايضا مشاة البحرية وطيرانها .

ثالثا** - لدى اميريكا اساطيل جوية ضخمة تتألف من خمسة آلاف طائرة حربية من مختلف الانواع وتسعة آلاف حوامة . وفي القواعد المار ذكرها اعلاه تربض نحو ١٥٠٠ طائرة من مختلف الانواع .

رابعا : جهاز المخابرات والتخريب العالمي - تملك الولايات المتحدة اوسع جهاز في العالم للتجسس والتخريب ، وهو ينقسم على العموم الى الفروع التالية حسب الاختصاص :

- فرع ال (سي -آي-أي) للتجسس والتخريب وحبك المؤامرات في كل الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية ، في كل انحاء العالم .
- فرع الاستخبارات العسكرية ، للتجسس ومقاومة التجسس العسكري .
- ادارة الاقمار الصناعية للتجسس الاقتصادي والعسكري في العالم .
- نظام الانذار للتجسس والتشويش الاليكتروني العالمي الذي يتألف من اسطول طائرات اليكترونية (كطائرات اواك التي تعمل حاليا في العربية السعودية) ، واسطول من السفن المجهزة كل منها بمعدات التشويش والتجسس الاليكتروني (كسفينة لايبرتي التي كانت تعمل في حرب حزيران قرب غزة للتجسس والتشويش على الاتصالات اللاسلكية للجيش المصري) ، وقواعد الانذار والتشويش والتجسس الالكتروني كتلك الموجودة قرب الحدود السوفياتية على الاراضي التركية في طربزون وسمسون وقره مورسل ، والنظام الاميركي - الكندي للانذار وصد الهجوم الصاروخي النووي .

** مجلة قوات الطيران الاميركية . كانون الاول ١٩٧٥ . كتاب بيلاشينكو الآنف الذكر .

وهنالك في النظام العسكري العالمي للولايات المتحدة بالاضافة الى ما سبق فروع لا وجود لشبيهها الا في الاتحاد السوفياتي* :

- تمتلك الولايات المتحدة عشرة آلاف من الرؤوس النووية الستراتيجية والتكتيكية مقابل ١٩٢ لبريطانيا و١٩٠ لفرنسا .

- ١٠٩ غواصات نووية لاميركا مقابل اربع لكل من بريطانيا وفرنسا .

- ١٠٥٤ صاروخا عابرا للقارات لاميركا . ولا شيء منها لدى الدول الاحتكارية الاخرى .

- ٦٥٦ صاروخا يقذف من البحر تملكها اميركا مقابل ٦٤ صاروخا لكل من انجلترا وفرنسا .

- ٤٣٢ قاذفة ستراتيجية لاميركا بنصف قطر عمل طويل ، ولا شيء لغيرها من الدول الاحتارية .

- ٦٦ قاذفة ستراتيجية بنصف قطر عمل متوسط مقابل ٤٨ لبريطانيا و٢٧ لفرنسا .

والخلاصة ان الولايات المتحدة الاميركية تمتلك دون كل شركائها الاحتكاريين كل «معدات العمل» لممارسة زعامة النظام الاحتكاري العالمي . ولا تمتلك اية دولة احتكارية اخرى «المؤهلات» لتقوم مثلها بهذا الدور . ثم ان ما يجب ملاحظته هو انه وان قام التنافس بين الامبرياليين في ميادين تجارة الاسلحة (التي من جملتها ميدان تسليح جيوشهم بالذات بهذا النوع من السلاح اوذاك ، من صنع هذه الدولة الاحتكارية اوتلك**) ، وهو امر من صميم طبيعة الرأسماليين ، الا ان هؤلاء الامبرياليين في نظامهم يسعون الى التكامل في تسليح جيوشهم (وليس الى التسابق في التسلح ضد بعضهم بعضا) عندما ينخرطون في عملية سباق التسلح مع الاتحاد السوفياتي .

الاتحاد الاستعماري العالمي : رأينا اعلاه ان العالم الرأسمالي المعاصر (بشقيه المتقدم

---

* الحوادث ٦/ ٦/ ٩٨٠/

** في القمة الاطلسية التي انعقدت في لندن عام ١٩٧٧ مثلا اضطر كارتر ان يقدم للشركاء الاوربيين (لاسترضائهم وكبح معارضتهم للسياسات الانانية الاميركية) وعدا بشراء الانتاج الاوربي للاسلحة الدفاعية للجيش الاميركي ولقوات الناتو . الانباء في ١١/ ٥/ ٧٧ .

والمتخلف) يخضع لنظام امبريالي موحد ما هو الا شكل لاتحاد واقعي عالمي تفرض فيه قلة من الدول نظامها المشترك بشبكة من العلاقات المعقدة خيوطها الرئيسية كما يلي :

- احتكار امكانات مادية وخبرات تشد الى عالمها المتخلفين الذين يفتقرون اليها ويقدمون الى اصحابها المستعمرين قيمهم وثرواتهم .

- جهاز قمع عالمي يساند بقاء المتخلفين في تخلفهم بشتى الطرق والاشكال .

- الطبقات في الاقطار المتخلفة التي تصر على ادامة ارتباط هذه الاقطار بشبكة الاحتكار العالمية ، فهي تقوم بمهمة «الوقاف» العادي لحراسة النظام في بلادها وجباية القيم والثروات وسوقها الى خزائن الامبرياليين لقاء ما يتركونه لها من بعض المنافع ، ويساعدها على ذلك فئات الانتهاز والخيانة والخنوع التي تشكل بير وقراطيتها الحارسة لها والمنفذة لرغباتها في مجالات خدمة المستعمرين .

- المصالح الاحتكارية المشتركة التي تربط الامبرياليين بعضهم ببعض .

وقد اشرنا اعلاه الى ان وحدة الامبرياليين في نظامهم الجديد لا يمكن ان تنفصم بعودة الامبرياليات المتفرقة الا في اليوم الذي يزول فيه نظامهم المذكور ويزولوا هم معه كرأسماليين احتكاريين ، اذ ليس بعد وحدتهم هذه التي قلنا ان اميركا قد حققتها بزعامتها الا انقراض الرأسمالية وارتقاء جملة المجتمعات الانسانية الى الطور الاعلى الذي هو الطور الاشتراكي العالمي . ورأينا ايضا كم هو بعيد حلول احدى الدول او مجموعة من الدول الاحتكارية كاحتكاريي اوربا مثلا ، محل اميركا في زعامة هذا النظام ، وذلك لعدم توفر ما لدى هذه الدولة الاخيرة من امكانات مادية ومواقع قوة عند غيرها من شركائها في النظام المذكور . وبكلمة واحدة : ان النظام الاحتكاري العالمي الحالي هو النظام الممكن الوحيد الذي يوفر للاحتكاريين اسباب البقاء كاحتكاريين ، فارتباطهم بعضهم ببعض او شقاقهم وتناقضهم بين بعضهم بعضا لا يكون الا في اطار هذا النظام ما دام وداموا فيه . ونستخلص في النتيجة القانون التالي : بامكان المتخلف الاستفادة من اختلافات الامبرياليين وتنافسهم لتحقيق بعض المكاسب في اطار نظامهم ، وبسبب تكاتف هؤلاء جميعاً في كل ما يهدد سلامة هذا النظام ، يكون من العبث ان يأمل المتخلف مساعدة جهة منهم فيما يمس سلامته هذه . ان بامكان العرب مثلا استخدام ثرواتهم البترولية لاقامة بعض الصناعات المتقدمة على ارض وطنهم بالاستفادة من ظرف تنافس الامبرياليين وتسابقهم للحصول

على الارباح . الا ان الرأسماليين جميعا : اميركان واوربيين ويابان يعارضون ويقاومون بكل الوسائل المتاحة لهم المساس بوجود اسرائيل ركيزة نظامهم الاساسية في منطقة الاحتياطي العالمي للبترول التي هي منطقتنا ، وان اختلفوا في اسلوب الحفاظ على هذا الوجود سلياً على حساب شعبنا الفلسطيني ومستقبل امتنا العربية .

ولقد قلنا واشرنا في اكثر من موضع بأن العالم الرأسمالي يتألف من شقين : متقدمين ومتخلفين . فهنالك اذن في المرحلة الحالية نظامان في العالم : النظام الرأسمالي الاحتكاري والمعسكر الاشتراكي . اما تعبير العالم الثالث فلا يدل الا على المتخلفين في النظام الامبريالي . والا من اين ينهب اولئك الامبرياليون القيم والثروات المتمثلة بمختلف المواد الاولية الثمينة ومختلف قوى العمل الانساني الرخيص . وعلى من يمارسون امبرياليتهم ان لم يمارسوها على ذلك العالم الثالث ؟ . . ان ما يعرضه بعض «مجتهدي» رجعيتنا من تفاهات مثل انكار طبيعة الراسمالية في نهب الانسان المستضعف ، و«جد واجتهاد» المستعمرين «ومهاراتهم في خلق القيم» (لا سيما منها تلك التي ينعم بها مجتهدونا في قصورهم ومباذلهم لقاء قهر وعذاب جماهير امتنا) لا يستحق اي تعليق او التفات . ولكن هنالك اكوام من اشباه الحقائق لا تؤول في النتيجة الا الى تلك التفاهات الآنفة الذكر ، مثل تصور عالم ثالث منفصل عن العالم الرأسمالي الذي يقتصر عندئذ على تلك الدول الاحتكارية الرأسمالية المتقدمة ، وبالتالي انكار وحدة الضدين : القاهرين والمقهورين ، ثم توهم «بورجوازيات تنبت» هنا وهناك لدى الاخيرين (لدى المتخلفين) ، مع اهمال العلاقة الوثيقة (علاقة التابع بالمتبوع) بين هذه البورجوازيات المزيفة (بين الوقافين) وبين البورجوازيات الحقيقية عند المتقدمين الاحتكاريين ، تلك العلاقات التي تقوم عليها الشبكة الاحتكارية العالمية ، وتجري خلال اقنيتها قيم وثروات المقهورين الى خزائن القاهرين . ان هذا لا يؤول الا الى تلك التفاهات التي اشرنا اليها آنفا ومآلها ان المتقدمين بمهاراتهم وحدها يصنعون كل ذلك الغنى الفاحش الذي يعيشون فيه ! . . نقول لا يؤول الا الى تلك التفاهات ولكن بقالب شبه علمي «يفلسفها» ويعطيها في كثير من الاحيان «قناع التقدم والموضوعية» .

وفي النتيجة نجد ان مثل هذه النظرة تلقي في الظل العدو الحقيقي المسبب لكل الآلام التي يعاني منها البشر في كل مكان من الارض ، وتجعل من «الوقافين» سببا اصليا لدوام

التخلف في المجتمعات الانسانية ، مع انهم مجرد امتدادات للاصول (الاحتكاريين) في البلاد المتقدمة ، فلا يكفي اذن اسقاطهم واقامة «وقافين» آخرين بدلا عنهم باقنعة خادعة ، ولا بد من القطع مع تلك الاصول (لا بد من القطع مع الشبكة الاحتكارية العالمية عند اسقاطهم ليتم الخلاص والتحرر ، فقطع الذنب لا يغني عن قطع الرأس .)

ان الامبريالية الاميركية مع حلفائها تتوازن على العموم مع معسكر حلف وارسو ، وهذا امر بديهي . ذلك لأن التفوق الساحق لاحد الطرفين ينفي وجود الآخر كنظام . وقد سبق وقلنا ان الحرب بين المعسكرين ضئيلة الاحتمال جدا لحتمية تصاعدها لتبلغ المستوى النووي ، ان لم نقل بانها لا بد من ان تبدأ (ان صدف وقامت) بالاسلحة النووية . «فابتداء من المسدس الرشاش حتى الصاروخ الحروري النووي ، اصبح بحوزة كل طرف سلسلة من الوسائط المدمرة المتصاعدة والكفيلة بازالة الطرف الآخر من عالم الشعوب الحية (من عالم الوجود : من عندنا) . ان اهم مزايا هذه السلسلة هي انها متدرجة ومستمرة ولا متناهية . فاذا استخدمت الحلقة الاولى منها اصبح الاحتمال كبيرا باستخدام باقي الحلقات تباعا دون وازع او ضابط . . . هل يوجد في هذا العالم مكسب يستحق ان نراهن عليه بمصير شعب كامل ؟ . . حسب ما قاله الجنرال بيير غالوا في بحثه ستراتيجية العصر النووي* . ثم ان التوازن بين الرأسماليين الامبرياليين وبين معسكر دول حلف وارسو يقوم في اطار الامرين التاليين :

الاول : التسابق في مجالات تنمية القوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية (على الرغم من كل مؤتمرات نزع السلاح ومؤتمرات «تخفيف التوتر» بين الدول كمؤتمر هلسنكي ومؤتمر مدريد وغيره) .

الثاني : تضاغط الطرفين المستمر الواحد على الآخر بشتى الاشكال المادية والفكرية : الحصار وفك الحصار ، بمؤازرة الحركات المعادية للنظام الخصم (قدم الاتحاد السوفياتي ويقدم مثلا للثورات وحركات التحرر مختلف المساعدات المادية والسياسية ، وتعمل اميركا وحلفاؤها على اثارة وتشجيع كل حركة معادية لانظمة دول حلف وارسو ،

---

* الصادر باللغة العربية عن ادارة التوجيه المعنوي للجيش السوري ترجمة العقيد الركن محمد سميح السيد ص ٨٥ - ٨٦ .

كما يفعلون في الازمة البولونية) ، بالدعاية بمختلف وسائلها الموجهة ضد انظمة الخصم ، بالتهديد في مختلف المناسبات الخ . . وهذه التفاعلات تترك بطبيعة الحال في كياني المعسكرين آثارها دون ان تؤدي الى تقويض احدهما او تقويضهما معا ، وان ساعدت بتراكمها في تقريب اجل النظام العالمي لصالح الطور الاعلى الذي هو طور النظام الاشتراكي العالمي .

وبعد ، ان تقويض النظام الامبريالي العالمي سيكون كما سبق واشرنا اليه بفعل وحدة ونضال المتضادات المتمثلة بالمقهورين وقاهريهم ، وفعل قانون النفي حيث يقوم المقهورون بنفي قاهريهم من الوجود كاحتكاريين امبرياليين ، كما نفى هؤلاء الرأسماليون عالم الحرفة الحرة الذي كان عالم المقهورين في ماضي الزمان . ومن المفيد ان نعود هنا الى ستراتيجية القواعد المذكورة اعلاه التي اوصى بها البر وفيسور كيفير وتنتهجها اميركا وتقيم عليها زعامتها للامبريالية العالمية . فشبكة القواعد الاميركية المقامة في كل انحاء العالم الرأسمالي توفر للولايات المتحدة الاميركية برأي البنتاغون «بشكل يكاد يكون آليا امكانية التأثير باستمرار ودون عقبات على أنأى المناطق عنها وضمان مصالحها في اية «بقعة ملتهبة من العالم .» . وبما ان هذا «الالتهاب» كما رأينا آنفا غير وارد حاليا بالاحتكاك مع المعسكر الاشتراكي ، فالمقصود به اذن لا بد من ان يكون كلاً من الحروب العدوانية واعمال التخريب التي يقوم بها الامبرياليون ضد بلاد العالم الثالث . وبالتالي فان النظام العسكري العالمي للمستعمرين المقام على تلك القواعد (اذ يحقق التوازن مع المعسكر الاشتراكي بحيث تقوم مع هذا التوازن حالة من «الجمود» النسبي في هذه الناحية من العالم) يشكل من جهة ثانية احد ركني حركة النظام الامبريالي نحو نهايته ، يشكل الركن السلبي المعارض لثورة العالم الثالث للتحرر وانهاء مرحلة انتقال الجملة الانسانية الى الطور الاعلى .